سينما

«قتلة زهرة القمر» مُجدّداً

الاستغفار المتأخّر والغفران اليائس

قراءة نقدية جديدة عن «قتلة زهرة القمر»، تُقارب مفهوم السينما الاعتذارية المشوّشة قليلاً في فيلم مبنيّ على أداء تمثيلي باهر

نجيب نصير

مثيرٌ للاستغراب عدم نيل «قتلة زهرة القمر» (2023)، لمارتن سكورسيزي، جائزة «أوسكار» مُعتَبَرة، في النسخة 96 (10 مارس/آذار 2024) لجوائز «أكاديمية علوم الصورة المتحرّكة وفنونها»، رغم امتلاء قائمة صنّاعه بمحترفين بارزين. لكنّ مشاهدة الفيلم (206 دقائق)، المقتبس عن رواية بالعنوان نفسه (2017) للصحافي والكاتب الأميركي ديفيد غران (سيناريو مشترك بين سكورسيزي وإريك روث)، تُبيِّن أنّه مرتبك بطريقة لا تُحصَر، لا دلالة عليها بملاحظات وتحليلات تقنية صرفة. فسكورسيزي هو مَن هو. كذلك روبرت دي نيرو وليوناردو دي كابريو. إنّهم من علامات هذا الفن، ومن خبرائه العريقين. هذا حال الدراما البصرية أيضاً، التي، حتى مع اكتمال عناصرها، تتعرّض للنقد، ولقبول ورفض، ولما بينهما من ردود أفعال متباينة. «قَتلة زهرة القمر» فيلمُ محتوى أولاً، رغم معرفةٍ بمهارات باهرة في ابتكار مخرجه، الذي وقع في اعتذارية متكرّرة في أفلام الإبادة الأميركية للسكّان الأصليين. هذا يحتاج إلى بحوث استقصائية، مليئة بتفاصيل وزواريب تفضي إلى إدانة جنائية، يتوقّف الفيلم على أعتابها. التفاصيل كثيرة، يبدو أنّ الفيلم مُضطرٌّ إلى نقلها، ما أدخله في مفاضلة أولويات وازدحام حدثٍ، إلى درجة أنّ مدّته غير كافية لسرد الدقائق الجنائية الحاسمة. لذا، لجأ سكورسيزي في النهاية إلى الاختصار، بتصوير نوع من المسرح الإذاعي، في محاولةٍ لإقفال دائرة الدراما، ثم إلحاقه بـ«فويس أوفر» لشرح ما يحصل. هذه نقطة ضعفٍ حقيقي، في فيلم ذي مستوى عالمي، إضافة إلى كليشيهاتٍ متكرّرة في الفيلم الأميركي المعتاد، كدخول عملاء «المكتب الفيدرالي للتحقيقات (FBI)» باعتبارهم خطّاً رئيسياً في الحكاية البصرية، ما ينهي الفيلم باكراً.

الحكاية تتلخّص في سرد واقعة إبادة جماعية، تتعرّض لها قبيلة «أوساج»، من السكّان الأصليين لأميركا، التي تُطرد من أراضيها، فتحلّ في أرضٍ جديدة تفجّر فيها النفط، الذي تُقسَم عوائده، «بشكل احتيالي»، على أفرادها. هذا حوّلهم إلى مُحدثي نعمة، يتمّ التحكّم في مصاريفهم وتضخيمها تضخيماً فاحشاً، إضافة الى الزواج من صباياهم ووراثتهنّ بعد «موتهنّ»، الذي يقوم الرجل الأبيض بتسريعه، إلى حدّ القتل. لكن (هذه الـ«لكن» الأميركية)، ليس جميع البيض من طينة الرجل الأبيض، فهناك من هو على عشق حقيقي (دي كابريو)، ولا يرضى بإزالة زوجته وأم أولاده من الوجود. مع ذلك، يسقط في أحابيل الملك (دي نيرو) مُجبَراً، ويشترك في جرائم عدّة مرتبطة ارتباطاً عضوياً بجريمة الإبادة التي حصلت برعاية هذا الملك، الذي يدّعي الحنان، ويغدقه على قوم (أوساج).

من هنا تأتي مفارقة دراما الفيلم، حيث يتمّ الجدل بين الحقيقي والمزيّف في النيات تجاه المُبادين من بشر «أوساج»، الذين يصدّقون ببراءة، أو عن طمع بدائي، هؤلاء البيض، الذين تحكمهم الخطط الباردة الصماء عن كلّ عاطفة، ليأتي علاجُ (FBI) يزيد من هذه القضية برودةً وصمماً. هكذا تبدو اعتذارية الفيلم المتأخّرة: باردة وصماء وبلا معنى. على الضفة الثانية، في الفيلم ذي التفاصيل الكثيرة والمتقطّعة، هناك مسألة الأداء التمثيلي الباهر، الذي تحلى به ثلاثي البطولة: دي كابريو (إرنست بوركهارت) ودي نيرو (ويليام كينغ هال) وليلي غلادستون (مولّي بوركهارت). عمل دي كابريو على جوّانيات الشخصية التي تتفتّت رويداً، على صعيد جرائمها، كما في ما يخص حبّه لزوجته، بتقديمه الجرائم والحبّ بسخونة باهرة، بفضل وجهه وانفعالات حجر العين القلقة والمتوترة إلى الأقصى، إذْ أصبح وجهه مشابهاً لصراع المشاعر التي تنتابه. بهذا، لا يُمكن مقاربته مع دي كابريو فتى الشاشة الوسيم، الذي اعتاد المُشاهد حضوره على هذه الحال. بموازاته، كان دي نيرو يؤسس اشتباكاً إبداعياً في الأداء، مُحوّلاً إياه إلى لعبة «بينغ بونغ»، لا تسقط الكرة فيها على الأرض بتاتاً. النتيجة، التي برمّتها لصالح المُشاهِد، أجاد فيها الطرفان بطريقة قياسية. وإذا أضيف الأداء الباهر لغلادستون، يمكن فهم الاستغراب بعدم حصول «قتلة زهرة القمر» على أي «أوسكار» عن التمثيل الرائع.

أخيراً: هل بقي من قوم «أوساج» أحدٌ ليتقبّل هذه الاعتذارية السينمائية، أو يرفضها؟ هل الاعتذارية وأمثالها ستغيّر مجريات التاريخ أو المستقبل؟ يُرجَّح أنّها لن تؤثر بشيءٍ، ما دامت ذهنية التكسّب باقية على البرود والقسوة هذين، والسينما نفسها، كشركات، تمارس العقلية نفسها، رغم كلّ هذا الكَمّ من الأفلام الاعتذارية من الضحايا، خاصةً في ما تعنيه صناعة الأسلحة، التي يمكن اعتبارها الجناح الثاني لصناعة الكراهية، الناتجة عن صناعة التكسّب من دون أي رادع، فمنطق القوّة يفرض نفسه.

على هذا، يمكن مُشاهدة فيلم مارتن سكورسيزي، بإدخال عنصر الـFBI باكراً، مُبشّراً بالقوة الموازية المنطقية التي يمكنها كشف الجرائم، ونسبها إلى أصحابها، إذْ لا مانع من الإبادة ما دامت هذه القوة «العادلة»، التي تكتشف الأمر وتعالجه ولو متأخّراً متوفرة، ما يُعيد الحقّ إلى نصابه، من دون التأكّد من حقيقة هذا الحقّ، وأحقيّته.

«قتلة زهرة القمر» أخّاذٌ بتفاصيله الروائية، وتفاصيل صنعه، إلاّ أنّه يحتاج إلى أكثر بكثير من 206 دقائق، لإقفال هذه المَشاهد المنتمية إلى نزعات بشرية متنوّعة، ربما تدمّر النزعة الإنسانية بالخطأ.

نزعاتٌ بشريّةٌ متنوّعةٌ ربما تدمّر النزعة الإنسانية

دي كابريو وغلادستون في «قتلة زهرة القمر»: اداءٌ اهمّ من «اوسكار» (الملف الصحافي)

فيروز سرحال في «فينيسيا»: بغدادي ومدينته

بيروت ـ **العربي الجديد**

للّبنانية فيروز سرحال علاقة ببيروت، ترسم شيئاً من تفاصيلها في «تشويش» (2017)، الذي ستكون لحظته الأساسية مباراة في كرة القدم بين فريقين أجنبيين. لكنّ المناخ أكبر من اللحظة هذه، والحيّز الجغرافيّ يتّخذ من مدينةٍ ملاذاً له، لالتقاط نبض شارع وأناس وفضاء وعلاقات وانفعال. اللحظة مُحدّدة. المدينة قد تكون مُحدّدة. الأهم كامنٌ في مكان آخر: المدينة ويومياتها. أفرادٌ في المدينة ومشاغلهم. أشياء وحضورها. حالات ومساراتها. انفعالات وارتباكاتها ورغباتها. عمارة وأشكالها وظلالها ومعانيها.

هذا كلّه ليس تفاصيل عابرة في «تشويش» (العربي الجديد، 19 مارس/ آذار 2018). فالكاميرا متوغّلة في ثناياها ومسامّها وفراغاتها ومساراتها. والأصوات المرافقة لها جزء من تملّكها المكان والهواء والمتاهات والأزقّة. لا كلام، بل موسيقى وأصوات وتعليقات وتمنّيات. الحركة أقوى وأعمق. العمارة ساكنةٌ، لكنّ روحها تتحرّك. الناس غير هادئين، لكنّ أرواحهم وأجسادهم متأهبة لمواجهة أو تحدٍّ، أو ربما صامتة عن كل مواجهة وتحدّ. مجدّداً، تغوص سرحال في المدينة نفسها، عبر مخرج لبناني راحل، له مع المدينة حكايات يروي بعضها في أفلام، ويعيش بعضها في يوميات، ويموت فيها قبل إكمال سيرةٍ واعدةٍ بنتاج يكشف ويفضح ويُعرّي ويبوح. فالوثائقيّ الجديد لها، «وعاد مارون إلى بيروت» (كتابةً وإخراجاً، إنتاج «قناة الجزيرة الوثائقية» و Films 2 Road، المنتجة سينتيا شقير)، الذي سيُعرض للمرة الأولى دولياً في الدورة الـ81 (28 أغسطس/ آب . 7 سبتمبر/ أيلول 2024) لمهرجان فينيسيا السينمائي (كلاسيكيات فينيسيا . وثائقيات عن السينما)، يروي فصولاً من حكاية المخرج السينمائي اللبناني مارون بغدادي (1950 . 1993).

بغدادي عامل في السينما منذ عام 1973، عشية اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية (1975 . 1990)، ويُعتبر أحد أبرز صانعي ما يُعرف بـ«السينما البديلة» في بلده، تلك التي تغوص في أعماق الواقع، فتكشف بعض خفاياه ومتاهاته وتفاصيله، وفي أحوال الفرد وعلاقاته بذاته وبالآخرين، قبل بدء تلك الحرب، وفي أعوامها الأولى. فبغدادي، كزملائه وزميلاته في «السينما البديلة» نفسها، يغادر بيروت في الربع الأول من ثمانينيات القرن الـ20، ويُقيم في فرنسا تحديداً، منجزاً فيها أفلاماً عن بيروت، وأخرى أجنبية تتناول مسائل حياتية وانفعالية وتاريخية مختلفة.

في التعريف الرسمي للفيلم، يُذكر أنّه «في الذكرى الـ30 لرحيله المأساوي، تنطلق المخرجة فيروز سرحال في رحلة في بيروت»، متنقّلةً في أحيائها وفضاءاتها، فالمدينة تلك مؤثّرةٌ في حياة بغدادي، وطابعةٌ سينماه: «إنّها (سرحال) تلتقي مُقرّبين منه، ومشاركين تجاربه». وبينما تستعرض حياته ومسيرته، «يقفز المشهد الاجتماعي والسياسي إلى المقدّمة»، فالفيلم يعكس أيضاً 50 عاماً من تاريخ البلد، «من زاوية الحاضر».

فيروز سرحال: عن مارون بغدادي وبيروت المؤثّرة في سينماه (الملف الصحافي)

أقوالهم

الأفضل للقصص أنْ تُصوَّر في البلد الذي نشأتِ فيه وتشرّبتِ ثقافته. لكنْ، ما الذي يُمكن فعله إنْ كنتِ لا تستطيعين صنع الفيلم بحريّة (في إيران)؟ أنْ تري مثلاً امرأة بلا حجاب في بيتها؟ ألّا تتصرّفي بحريتك في نصّك لتريه بالطريقة التي ترغبين فيها؟

رها أمير فضلي

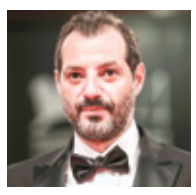

عندما أختار عملاً ما، وأبدأ الاشتغال عليه، أركّز على كلّ شاردة وواردة فيه، من باب الاطّلاع. لستُ من الممثّلين الذين يتّكلون على أدائهم فقط. يهمّني كثيراً أنْ يتمّ تحقيق العمل بالشراكة مع أعضاء الفريق جميعهم. أستمع إلى الآخر، وأصغي إليه. كما أنّي لا أتوانى عن إعطاء ملاحظاتي.

عادل كرم

اختلاف مهرجان فينيسيا السينمائي (Getty) عن غيره من مهرجانات الفئة الأولى يبدأ بتقدير كبير يُكنّه له نقّاد سينمائيون غربيون، تبعاً لما يختاره من أفلام، وما يوفّره من برامج. الدورة الـ81 (أغسطس/آب . سبتمبر/أيلول 2024) لا تختلف عن الدورات السابقة. أفلامٌ عدّة، وأسماء كبيرة، وأخرى جديدة واعدة، وأقسام توفّر مُتعاً بصرية مختلفة.

محمد رضا

أفعالهم

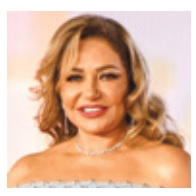

«جوازة توكسيك» لمحمود كريم، تمثيل **ليلى علوي** (Getty) وبيومي فؤاد وتامر هجرس: قصة حبّ فريدة وكريم تبدأ بسوء تفاهم في دبي، ثم يقع خلافٌ بعد عودتهما إلى مصر. يتدخّل الأهل، فكلّ واحدٍ منهما ينتمي إلى طبقة اجتماعية تختلف تماماً عن الأخرى، وهذا يخلق مفارقات كوميدية كثيرة.

Beetlejuice Beetlejuice لتيم بورتن، تمثيل مايكل كيتون و**وينونا رايدر** (Getty): بعد مأساة فظيعة، تعود عائلة ديتز إلى «وينتر ريفر». ليديا تعاني آثار «بيتلجوس»، وتنقلب حياتها كلّياً، عندما تفتح ابنتها أستريد، المُراهقة المتمرّدة، خطأ، بوّابة تؤدي إلى الحياة الآخرة. يُلفَظ اسم «بيتلجوس» ثلاث مرات، فيعود هذا الشيطان المخادع وينشر الفوضى.

The Wild Robot لكريس ساندرس، أصوات **لوبيتا نْيونغو** (Getty) وبيدرو باسكال وكاترين أوهارا: مغامرة تحدث مع روبوت، تتحطّم سفينته على جزيرة غير مأهولة، وعليه تعلّم التكيّف مع البيئة القاسية، وبناء علاقات مع الحيوانات فيها، قبل أنْ يُصبح والداً بالتبنّي لإوزة يتيمة.

أخبار

◆ يُنظّم «المركز الفرنسي في لبنان» تظاهرة «سينما كارافان» في مدن وقرى لبنانية عدّة، تعرض فيها مجّاناً أفلاماً مختلفة في الهواء الطلق، بالتعاون مع المراكز الفرنسية والبلديات والجمعيات المحلية: «يُقدّم هذا النشاط لحظةً من الثقافة والتبادل والانفتاح والودّ»، كما في بيان المركز.
والنشاط نفسه «يتيح فرصة لتجربة سينمائية فريدة على الشاشة الكبيرة، في أماكن غير متاحة للجمهور».
منذ إطلاقها عام 2009، قدّمت «سينما كارافان» نحو 80 فيلماً فرنسياً ولبنانياً، في 400 عرض في 150 قرية، شاهدها آلافٌ.
عام 2024، تبدأ هذه السينما في الأول من أغسطس/آب في أميون (شمالي لبنان)، وتزور 15 قرية، وتنتهي في 31 منه، في جباع الشوف (جبل لبنان).
يشتمل البرنامج على أفلام حديثة، يُعرض بعضها للمرّة الأولى في لبنان: «كنز نيكولا الصغير» (2021) لجوليان رابّنو، و«الذئب والأسد» (2021) لجيل دو ماشتْر، و«أستريكس وأوبيليكس: إمبراطورية الوسط» (2023) لغييوم كاني، و«رحلة الأمير» (2019)، فيلم تحريك لكزافييه بيكار وجان . فرنسوا لاغيوني، و«ديفيرتيمينتو» (2023) لماري . كاستيّ مونسيون . شْشار، و«ميا والأسد الأبيض» (2018) لدو ماشْتْر أيضاً (الثامنة مساءً، باللغة الفرنسية، مع ترجمة إلى اللغتين العربية و/ أو الإنكليزية).

◆ يعرض «نادي لكلّ الناس»، بالتعاون مع «الجنينة»، الفيلم الوثائقي «بيروت في عين العاصفة» (2021، 75 د.) لمي المصري، مساء 29 يوليو/ تموز 2024، في الأشرفية (بيروت). أربع شابات يوثّقن انتفاضة «7 أكتوبر» (2019) اللبنانية: الصحافية حنين، والمُصوّرة العراقية لُجَين، والشقيقتان نويل وميشيل، اللتان كانت أغانيهما الطليعية صوتاً لجيلهن.
المزاج السائد مزاج أمل وتغيير. لكنْ، بعد أشهر قليلة، بدءاً من منتصف فبراير/شباط 2020، أغلقت كورونا المدينة، وتبخّر كلّ التفاؤل مع الانفجار المزدوج في مرفأ العاصمة (4 أغسطس/آب 2020). هل ستتمسّك الشابات بحلمهنّ بلبنان جديد؟